

## الفصل الثاني الغناء الحرام

١ - فساد هذا الزمان :

تغيّرت الحقائق في أذهان الناس اليوم منذ زمن بعيد، وهذا ليس بغريب فقد أخبرنا نبينا ﷺ أنه كلما امتد بالناس الزمان يُعرضون عن شرع الله سبحانه وتعالى، ويُخدثون في دينه ما ليس فيه .

فعن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال :

«وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعَيُونَ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ مُوَدَّعٌ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْشَ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُسْتَحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُخَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ أَلْقَى نَظْرَةً حَوْلَ اخْتِلاَفِ النَّاسِ فِي مَسْأَلَةِ الْغِنَاءِ، لَرَأَى مَا يُحَيِّرُ الْعُقُولَ، وَصَارَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ يَخْلِفُونَ بِمَا لَا يَعْرِفُونَ.

وقد نقل الإمام الخلال<sup>(٢)</sup> في كتابه «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» عن إمام أهل السنة الإمام أحمد أنه قال :

«إذا رأيتم شيئاً مُسْتَوِيّاً مُسْتَقِيماً فَتَعَجَّبُوا»<sup>(٣)</sup> أي أن الناس يسرون على الانحراف والزيغ

(١) رواه أحمد في «المسند» (١٢٦/٤) وأخرجه الترمذي في «السنن» (٤٤/٥)، (٤٢) - كتاب العلم، (١٦) - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، الحديث رقم (٢٦٧٦).

(٢) هو الإمام أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر الخلال الذي قال عنه الإمام الذهبي: جامع علم أحمد ومرتبته. مُفَسِّرٌ، عَالِمٌ بِالْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ، مِنْ كِبَارِ حَنَابِلَةِ أَهْلِ بَغْدَادَ، كَانَتْ حَلْقَتَهُ بِجَامِعِ الْمَهْدِيِّ، قَالَ ابْنُ أَبِي يَعْلَى: لَهُ التَّفَاسِيرُ الدَّائِرَةُ وَالْكَتَبُ السَّائِرَةُ تُوْفِيَ عَامَ (٣١١هـ). وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٩٧/١٤) ترجمة (١٩٣)، و «تذكرة الحفاظ» له (٧٨٥/٣ - ٧٨٦)، و «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١٢/٢ - ١٥)، و «الوافي بالوفيات» للصفدي (٩٩/٨)، و «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٢٠٩/٣)، و «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤٨/١١)، و «الرسالة المستطرفة» للكتاني (٣٧ - ٣٨)، و «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي (٢٦١/٢).

(٣) الإمام أبو بكر الخلال «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» الصفحة (٥٨) باب ما روي في أن ذلك يُسرّ المؤمن =

والضلال والبلاء، فإذا رأيتم استقامة في الحياة، فَتَعَجَّبُوا من هذه الاستقامة، كيف لا زال الناس يُمَسِّكُونَ بها، ويأخذون بها.

٢- مَفْسَدَةُ الْغِنَاءِ هِيَ أُمَّ الْمَفَاسِدِ:

إِنَّ مَفْسَدَةَ الْغِنَاءِ الْحَرَامِ هِيَ مَبْنِعُ الرِّذَالِ، وَكُلُّ مَفْسَدَةٍ تَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا، فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقْضِيَ عَلَى الْمُتَكِرَاتِ، فَيَحْتَمِ عَلَيْنَا تَحْتَمًا لَازِمًا أَنْ نَقْضِيَ عَلَى الْغِنَاءِ الْحَرَامِ.

لَنْ يَزَالَ فِي الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَةِ مُتَكِرَاتٌ، وَمُخَدَّرَاتٌ، وَعُجْرٌ، وَلَعْنٌ، وَزَنَى، وَفُجُورٌ، وَقَتْلٌ أَنْفَسٍ مَا دَامَ هَذَا الْغِنَاءُ يُجَلِّجُلُ بَيْنَ أَفْرَادِهَا، وَقَدْ قَالَ الْأَمِيرُ الرَّاشِدُ وَالْخَلِيفَةُ الْخَامِسُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِمُعَلِّمِ أَوْلَادِهِ:

«لِيَكُنْ أَوَّلُ مَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أَدَبِكَ بُغْضُ الْغِنَاءِ، الَّذِي مَبْدَأُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَعَاقِبَتُهُ سُوءُ الرَّحْمَنِ، فَقَدْ حَدَّثَنِي عَدَدٌ مِنْ ثِقَاتِ الْعِلْمِ أَنَّ سَمَاعَ الْمَزَامِيرِ وَاسْتِمَاعَ الْغِنَاءِ وَاللَّهَجَ بِهِ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْعُشْبَ»<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين»<sup>(٢)</sup>:

«فَكَيْفَ يُظَنُّ بِالْحَكِيمِ الْخَبِيرِ أَنْ يُحَرِّمَ مِثْلَ رَأْسِ الْإِبْرَةِ مِنَ الْمُسْكِرِ، لِأَنَّهُ يَسُوقُ النَّفْسَ إِلَى الشُّكْرِ الَّذِي يَسُوقُهَا إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ، ثُمَّ يَبِيحُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ سَوْقًا لِلنَّفْسِ إِلَى الْحَرَامِ بِكَثِيرٍ»، وَهُوَ الْغِنَاءُ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ إِلَّا إِذَا غَتَّى.

لا يشرب الخمر قارئ القرآن، بل مُذْمِنٌ عَلَى الْمَخْدَرَاتِ، وَمَنْ يَعْكِفُ عَلَى حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَعْتَدِي عَلَى الْأَعْرَاضِ، فَهُوَ مَنْ طَهَرَ قَلْبَهُ بِشَرَعِ الرَّحْمَنِ.

إنما عندما تثور الشهوات في النفوس كأنها براكين نار، يَلْجَأُ الْإِنْسَانُ لِإِطْفَائِهَا بِمُسْكِرٍ حَسِّيٍّ، أَوْ مُخَدَّرٍ حَسِّيٍّ، أَوْ بِالْإِعْتِدَاءِ عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ.

ولَنْ يَزَالَ فِي الْعَالَمِ مَفَاسِدٌ مَا دَامَ الْغِنَاءُ الْحَرَامُ مُتَشَرِّرًا، وَقَدْ قَالَ سَيِّدُنَا عَثْمَانُ «اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمَّ الْخَبَائِثِ»<sup>(٣)</sup>.

فالخمر مفتاح كل الشرور، والغناء الحرام مفتاح الخمر.

وإذا غتَّى الإنسان سَيَشْرَبُ الْمَسْكِرَاتِ، وَسَيَتَعَاطَى الْمُخَدَّرَاتِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْإِصَابَةَ

= وَيُغَيِّظُ الْمَنَاقِقَ، الْحَدِيثُ رَقْمَ (٦٦).

(١) ابن أبي الدنيا «ذم الملاهي» الصفحة (٤٠) الحديث رقم (٢٠)، ونقل عنه ابن القيم في «إغاثة اللهفان من مصاديق الشيطان» (٢٥٠/١)، وابن الجوزي في «تلبس إبليس» الصفحة (٢٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١٦٠/٥)، وابن رجب الحنبلي في «نزهة الأسماع في مسألة السماع» الصفحة (٧٦)، وحديث الغناء ينبت النفاق في القلب ضعيف راجع جدول الأحاديث الضعيفة والمنكرة في الغناء الملحق بآخر البحث.

(٢) ابن القيم «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٤٩٤/١).

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٨٧/٨)، كتاب الأشربة والحد فيها.

بمرض الغناء الحرام أعظم بكثير من الإصابة بالأمراض الخبيثة من مُسْكِرٍ أو مُخَدِّرٍ، لأنَّ كل ذلك سيزول إذا فَطَمَتِ النَّفْسَ عَنِ الْغِنَاءِ.

### ٣ - حَرَمَ اللَّهُ الْغِنَاءَ فِي مَكَّةَ قَبْلَ نَزُولِ الْفَرَائِضِ (كَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ):

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَمَا رَبَّى هَذِهِ الْأُمَّةَ، رَبَّاهُمْ عَلَى طَهَارَةِ الْقُلُوبِ، فَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْغِنَاءَ فِي مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ الْفَرَائِضُ (كَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ) وَقَبْلَ أَنْ تُشَرَّعَ الْحُدُودُ، وَمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْخَمْرَ، فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ نُورَهَا اللَّهُ إِلَّا مِنَ الْعَامِ الثَّامِنِ لِلْهَجْرَةِ، أَي بَعْدَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِـ (٢١) سَنَةً تُحَرِّمُ الْخَمْرَ.

أما الْغِنَاءُ فَحَرَّمَ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ، لِأَنَّكَ إِذَا فَطَمَتِ النَّفْسَ عَنِ الْغِنَاءِ، وَقُلْتَ لَهُ: ابْتَئِدْ عَنِ الْخَمْرِ سَيَقُولُ: سَمِعًا وَطَاعَةً، وَإِذَا رَبَّيْتَ الْقُلُوبَ عَلَى الْغِنَاءِ، وَبَدَلْتَ مَا فِي وَسْعِكَ لِمَنْعِهِ عَنِ الْبَلَايَا مِنْ مُسْكِرَاتٍ وَمُخَدِّرَاتٍ فَلَنْ يَجِدِي فِي النَّاسِ شَيْئًا، لِأَنَّهُمْ امْتَنَعُوا ظَاهِرًا خَشِيئَةَ الْعُقُوبَةِ الْحِسِّيَّةِ، فَسَيَعْرِفُونَ عَلَى ذَلِكَ فِي الْخِفَاءِ وَفِي السِّرِّ، وَفِي الْبَاطِنِ كَمَا هُوَ حَالُ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ.

يُحَرِّمُ الْغِنَاءَ لِيَسْبَبَ الْقَلْبَ وَيُنْتَى عَلَى الطَّهَارَةِ وَالْفَضِيلَةِ مِنَ الْبَدَايَةِ، إِذَا بُنِيَ كَذَلِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ (١) أَجَابُوا إِجَابَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ: انْتَهَيْنَا.

ثبت في «صحيح البخاري»<sup>(٢)</sup> وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«كنتُ أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً الخمر قبل أن تُحَرَّمَ، وَإِذَا بِمُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالُوا: يَا أُنْسُ، أَهْرِقْ عَنَا هَذِهِ الْقَلَالَ وَمَا عَادُوا إِلَيْهَا أَبَدًا وَقَدْ ضَبَّ لَهُمْ أُنْسُ الْخَمْرِ فِي الْأَقْدَاحِ، وَرَفَعُوا الْأَقْدَاحَ فَوْقَ أَفْوَاهِهِمْ، وَمَا صَبُّوا مِنْهُ قَطْرَةً. فَالْقَلْبُ طَاهِرٌ.

«أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة المائدة، الآيتان: (٩٠، ٩١).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٧٧/٨)، (٦٥) - كتاب التفسير، (١٠) - باب «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس...»، الحديث رقم (٤٦١٧) بلفظ: «فإني لقاتم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً...» الحديث.

وهو شطر من حديث طرفة: «ما كان لنا خمر غير فضيحتكم»

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري في «الصحيح» (١٢٦/١)، (٢) - كتاب الإيمان، (٣٩) - باب فضل من استبرأ لدينه الحديث رقم (٥٢) عن النعمان بن بشير بلفظ «الحلال بين والحرام بين...» وهو شطر منه.

وأخرجه مسلم في «الصحيح» (١٢٢٠/٣)، (٢٢) - كتاب المساقاة، (٢٠) - باب أخذ الحلال وترك الشبهات الحديث رقم ١٠٧ - (١٥٩٩).

## ٤ - لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ دَيْوُثٌ :

ما دام الغناء الحرام مُعْشَعِشَاً فِي الْقُلُوبِ، فلا انتفاع مِنْ مَوْعِظَةٍ، ولا تَأْتُرُ بِنصِيحَةٍ، وصاحبُ الغناء دَيْوُثٌ، وبينه وبين الجنة حاجبٌ مانعٌ على ما قرره نبينا صلوات الله عليه حيث قال:

«ثلاثة لا يَدْخُلُونَ الجنةَ: العاقق بوالدئيه، والدَّيْوُثُ، ورجلة النساء»<sup>(١)</sup>.

الدَّيْوُثُ: الذي يقرّ الحَبَثَ في أهله، يُخْضِرُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْهَرَةِ لِيَرَى أَهْلَهُ وترى زوجته وبناته وأولاده راقصات يُعَيِّنُ أَغْنِيَاتٍ لو سمعها العباد الرُّهَادَ لَفَسَدُوا!

فكيف سيكون حالك يا عبد الله مع أولادك؟

## ٥ - هذه البليّة مع شناعتها وبشاعتها وقبحها ودناءتها أقبل عليها الكافّة إلا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ

لقد فَشَّتْ آتَاتِ الْمَلَاهِي فِي بُيُوتِنَا وَبُيُوتِ الْخَاصَّةِ .

وقد أفتى بعضهم ممن يُعَدُّونَهُمْ مِنَ الدُّعَاةِ يَتَّبِعُ بِأَنَّ الْغِنَاءَ حَلَالٌ، وأنه عندما يستمع صوت المطربة:

خُذْنِي بِخَنَائِكَ خُذْنِي عَنِ الْوُجُودِ وَأَبْعُدْنِي

يعتريه مِنَ الْخُشُوعِ وَالْوَجَلِ مَا لَا يَعْتَرِيهِ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ .

ويقولون الْغِنَاءُ هُوَ غِذَاءُ الرُّوحِ، وهو بهجة النَّفْسِ ونور القلب .

وهؤلاء ممن يعتبرون دُعاة، هُمْ وَاللَّهِ عَلَى الْإِسْلَامِ بُغَاةٌ .

سبحان الله العظيم، بَدَأَتْ الْقُلُوبُ الْخَيْثَةَ تَخْشَعُ لِسَمَاعِ الْأَغَانِي .

ورضي الله عن سيدنا عثمان بن عفان عندما قال: «وَاللَّهِ لَوْ طَهَّرْتَ قُلُوبَنَا مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ رَبِّنَا»<sup>(٢)</sup>.

إِنَّمَا قُلُوبٌ نَجِسَةٌ تُرِيدُ مَا يُنَاسِبُهَا مِنْ غِنَاءٍ وَبَلَاءٍ .

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٧٢/١). وقال الإمام الذهبي في «تلخيصه»: صحيح الإسناد.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٣٩٩/٤) من طريق مسدد، عن معتمر بن سليمان، به وصححه ووافقه الذهبي! بلفظ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وقاطع الرحم، ومصدق بالسُّخْرِ...» الحديث وله رواية عند أحمد في «المسند» (٣٩٩/٤) عن علي بن عبد الله . وذكره ابن حبان في «صحيحه» بترتيب ابن بلبان (١٦٥/١٢) الحديث رقم (٥٣٤٦)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧٤/٥) وزاد نسبه إلى أبي يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات!

قلت وللحديث شواهد عن أحمد في «المسند» (١٤/٣ و ٨٣) فلعل حديث الباب يتقوى به ويحسن.

ولفظ أحمد: «لا يدخل الجنة صاحب خمس».

(٢) ذكره البيهقي في «الأسماء والصفات» الصفحة (١٨٢) وأخرجه أحمد في «الزهد» وابن عساكر رضي الله عنه عن

عثمان بن عفان كذا في «الكنز» (٢١٨/١) وذكره الكاندهلوي في «حياة الصحابة» (٢٨٦/٣).

## ٦ - أهم العلماء القائلين بحرمة الغناء :

أولاً: أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي، عبد الرحمن بن علي الحنبلي (ت ٥٩٧هـ) :  
اعتبر أبو الفرج ابن الجوزي أن الغناء يُلهي عن التفكر في عظمة الله سبحانه وتعالى،  
وعن القيام بخدمته من جهة، كما أنه يميل القلب إلى اللذات العاجلة من جهة أخرى .  
وهذا ما عبّر عنه في كتابه «تلبس إبليس»<sup>(١)</sup> إذا قال :

«واعلم أنّ سماع الغناء يجمع شيئين :

أحدهما : أنه يُلهي القلب عن التفكر في عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته .

والثاني : أن يُميله إلى اللذات العاجلة التي تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات  
الحية، ومعظمها النكاح، وليس تمام لذته إلا في المتجددات، ولا سبيل إلى كثرة  
المتجددات من الحل . فلذلك يحث على الزنى، فبيّن الغناء والزنى تناسب من جهة أن الغناء  
لذة الروح، والزنا أكبر لذات النفس» .

قال :

«وقد تكلم الناس في الغناء فأطالوا، فمنهم من حرّمه، ومنهم من أباحه من غير كراهة،  
ومنهم من كرهه مع الإباحة» .

ثم فصل ذلك ذاكراً رأي المذاهب الأربعة نقلاً عن القاضي أبي الطيب الطبري الشافعي  
(ت ٤٥٠هـ) في كتابه «الرد على من يحب السماع»، مُورداً أدلة المانعين والمجيزين، والشبّه  
التي تعلّق بها من أجاز سماع الغناء؛ ناقداً مسالك الصوفية في السماع الذين آثروه على قراءة  
القرآن<sup>(٢)</sup> .

ثانياً: شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحنبلي<sup>(٣)</sup> (ت ٧٢٨هـ) :

لقد فرّق - رحمه الله - بين السماع الذي يُنتفع به في الدين، وبين ما يُرخصه رفعاً  
للحرج، وبين سماع المتقربين وسماع المتلاعبين .

فقد سُئل - رحمه الله - عن صفة سماع الصالحين، ما هو؟

(١) أبو الفرج ابن الجوزي «تلبس إبليس» الصفحة (٢٧٤) ذكر تلبس إبليس على الصوفية في السماع والرقص  
والوجد، وقد نقل كلامه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الرسائل المنيرية» الرسالة التاسعة: في السماع والرقص  
(١٧٨/٣) .

(٢) أبو الفرج ابن الجوزي «تلبس إبليس» الصفحة (٢٧٥) وما بعدها .

(٣) ابن تيمية «رسالة في الرقص والسماع» وهي الرسالة التاسعة من «مجموعة الرسائل المنيرية» (١٦٧/٣) وقد أورد  
هذا الكلام عبد النعم أبو العباس في مقدمة تحقيق كتابه «كفّ الرعاع عن مُحَرّمات اللهو والسماع» لابن حجر  
الهيثمي نقلاً عن «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١١/٥٥٧ - ٦٠٢) .

وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربة من القرب والطاعات؟ أهو مُحَرَّم أو مباح؟ .

فأجاب:

أما السماع الذي شرعه الله لعباده، وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع آيات الله، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم والمعرفة؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (١).

وبهذا السماع أمر الله تعالى، وذلك في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢).

وعلى أهله أثنى في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (٣).

وكما أثنى على هذا السماع، ذمَّ المُعْرِضِينَ عنه فقال سبحانه:

﴿وَإِذَا نُنشِئُ آيَاتِنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاطٌ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

وقد أخبر تعالى أن المعتصم بسماع القرآن مُهْتَدٍ، مُفْلِحٌ، والمُعْرِضُ عنه ضالٌّ شقي.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْرُضْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَّمْ يَشِطَّنَا فَهُوَ لَمْ يَرِنُ﴾ (٦).

وبالجملة:

فهذا السماع هو أصل الإيمان، فمن سمع ما بلغه الرسول فأمن به واتبعه اهتدى وأفلح، ومن أعرض عن ذلك ضلَّ وشقي.

وأما سماع المكاء والتصديّة، فهذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ (٧) لم يكن النبي ﷺ وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع، ولم يُشْرَعْ لِصَالِحِي أُمَّتِهِ وَعِبَادِهِمْ وَزُهَادِهِمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا

(١) سورة المائدة، الآية: (٨٣).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٢٠٤).

(٣) سورة الزمر، الآيتان: (١٧، ١٨).

(٤) سورة لقمان، الآية: (٧).

(٥) سورة فصلت، الآية: (٢٦).

(٦) سورة الزخرف، الآية: (٣٦).

(٧) سورة الأنفال، الآية: (٣٥).

على استماع الآيات المُلحَّنة مع ضرب بالأكفّ أو ضرب بالقضيب أو الدَّفّ، كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعتها، واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة، ولكن رَحَّصَ ﷺ في أنواع من اللهو المُباح في العُرْسِ ونحوه، كما رَحَّصَ للنساء أَنْ يَضْرِبْنَ بِالذَّفِّ فِي الْأَعْرَاسِ وَالْأَفْرَاحِ، وَأَمَّا الرِّجَالُ عَلَى عَهْدِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَضْرِبُ بِذَفِّ، وَلَا يَصْفُقُ بِكَفِّ. وَكَانَ السَّلْفُ يَسْمُونَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنَ الرِّجَالِ مُحَنَّثًا. لِأَنَّ الْغِنَاءَ وَالضَّرْبَ بِالذَّفِّ وَالْكَفِّ مِنْ عَمَلِ النِّسَاءِ فَقَطْ.

هذا وقد هاجم شيخ الإسلام ابن تيمية كل العلماء الذين برَّعوا في صناعة الموسيقى المتأثرين بخطى اليونان في العصر العباسي.

- كابن سينا: الذي أخذت فلسفة رُكِّبها من كلام سلفه اليونان، وقد ذكر في إشاراتِه في «مقامات العارفين» في الترغيب في الغناء، وعشق الصور، ما يناسب طريقة أسلافه الفلاسفة والصابئين المشركين الذين كانوا يعبدون الكواكب والأصنام كأرسطو وشيعته من اليونان، ومن اتبعه كبرقلس وثامسطيوس، والإسكندر الأفروديسي، وكان أرسطو وزير الإسكندر بن فيلبس المقدوني التي تؤرخ له اليهود والنصارى، وكان قبل المسيح بنحو (٣٠٠) سنة، وهو غير ذي القرنين المذكور في القرآن، باني السَّدِّ.

- كذلك انتقد شيخ الإسلام إخوان الصفا وكلامهم في الموسيقى والغناء وهم من أئمة منافقي الأمم الذين ليسوا مسلمين، ولا يهود، ولا نصارى.

- وهاجم الفارابي صاحب الحكاية المشهورة مع ابن حمدان (الذي ضرب فأبكى ثم أضحك ثم نوم القوم وخرَجَ، وذلك بألة واحدة كان في كل مرة يُعيد تركيبها على خريطة معلقة في صدره).

فانتقد طوائف اليونان التي تُرغَّب بالغناء وتجعله مما تزكو به النفوس، وترتاض به، وتُهدَّبُ به الأخلاق؛ فالفارابي قد حدَّق في حروف اليونان التي هي تعاليم أرسطو وأتباعه من الفلاسفة المشائين<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تمام ردِّ شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١١/٥٧٠ - ٥٧١)، وشيخ الإسلام ابن تيمية كان له باعٌ طويلٌ في معرفة أقوال السلف، وقل أن يذكر مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأئمة الأربعة، ويرعَى في العلم وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه. ترجم له الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٤/١٤٩٦) ترجمة (١١٧٥)، فقال: الفقيه المجتهد، المفسر البارع، شيخ الإسلام، علمُ الرُّهَادِ، نَادِرَةُ الْعَصْرِ... وكان من بُحُورِ الْعِلْمِ، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد، والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد، أثنى عليه المواقف والمخالف وسارت بصانيفه الركبان لعلها (٣٠٠) مجلد. لكنه كان - رحمه الله - من المتشددين في جرح الأحاديث، يردُّ كثيراً من الأحاديث الجياد كما وصفه الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/٣١٩)، في ترجمة يوسف بن الحسن بن المطهر الجلي الرافضي، وفي «فتح الباري» (٦/٢٢٢) الطبعة السلفية. وانظر ترجمة شيخ الإسلام في «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/١٤٤) ترجمة (٤٠٩)، وراجع لزماماً كتاب «الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة» للكنوي الصفحة (١٧٤ - ١٧٥)، و«الرفع والتكميل» له الصفحة (٣٣٠ - ٣٣١).

ثالثاً: رَأَى الإمام ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تلميذ ابن تيمية الحنبلي<sup>(١)</sup> (ت ٧٥١هـ):

لقد حذا الإمام ابن القيم رحمه الله حذو أستاذه ابن تيمية، وَعَقَدَ فصلين طويلين في كتابته «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» و «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» انتهى بهما إلى ذم الغناء وأصحابه.

وكتابه «الإغاثة» يُمَثَّل لدى الدارسين العمدة في تحريم الغناء والمعازف، إذ جمع فيه أقوال من سبقه كالإمام أبي بكر الطرطوشي في كتابه «تحريم السماع»، وكلام الفقهاء الأربعة كالشافعية والحنابلة والمالكية والأحناف، واستشهد عند معالجته بالأبيات الشعرية المُحَرَّمَة للغناء، التي تبيّن مضارّه، وساق بِضْعَةَ عشر اسماً له من الكتاب والسنة فهو بعد أن يُورد الآية الكريمة يذكر الأحاديث المفسرة لها من كتب السنة المشرفة كمسند أحمد، ومسند عبد الله بن الزبير الحميدي، وجامع الترمذي، ويسوق أقوال المفسرين واللغويين، ويؤيد كلامه بآراء من سبقه ككتاب «ذم الملاهي» لابن أبي الدنيا، و «أحكام الملاهي» لأبي الحسين ابن المنادي، وكتاب «مكايد الشيطان وحيله» لابن أبي الدنيا أيضاً، ويتعرض أيضاً لذكر كتاب اسمه «السماع الكبير»<sup>(٢)</sup> من تأليفه، وكل ذلك بأسلوب محكم مُورِداً الحُجَّةَ تَلَوَّ الأخرى.

وأما في «مدارج السالكين» فيتحدّث أولاً عن تعريف السماع، وحقيقته، وأصحابه وأنواعه كالسماع الذي مدحه الله في كتابه، والسماع البغيض المكروه، والسماع المُباح، ثم يردّ على حجج من قال بإباحة السماع بقوله: إن هذا حَيْدَة عن المقصود، وتعلق بما لا متعلق به.

يقول:

« والسماع على ثلاث درجات : سماع العامة وسماع الخاصّة وسماع خاصّة الخاصّة».

وهكذا يُبيّن ابن القيم أن هناك فروقاً بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فأولياء الرحمن هم الذي لا يَتَّخِذُونَ دِينَهُمْ لَهْوَاً ولعباً، ولا يَسْتَجِيبُونَ سماع الشيطان على سماع القرآن، ولا المعازف والمثاني على السبع المثاني.

ومن جميل ما ذكره ابن القيم من القصائد في الغناء الحرام:

(١) ابن قيم الجوزية «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٢٤ - ٢٦٨)، و «مدارج السالكين» (١/ ٤٧٧ - ٥٠٠) فصل منزلة السماع، و «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء».

(٢) ولعله «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء» له.

تُلِيَّ الْكِتَابَ فَأَطْرَقُوا، لَا خِيفَةَ  
لكنه إطرأق ساءِ لاهي  
وَأَتَى الْغِنَاءَ فَكَالذِّبَابُ تَرَاقَصُوا  
واللَّهِ مَا رَقَّصُوا مِنْ أَجْلِ اللَّهِ  
دُفًّا وَمِزْمَارًا وَنَغْمَةً شَاهِد  
فمتى شهدت عبادة بملاهي؟  
نُقِلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لِمَا رَأَوْا  
تقيده بأوامرٍ ونواهي  
وعليهم خَفَّ الْغِنَاءُ لِمَا رَأَوْا  
إطلاقه في اللهو دون مناهي<sup>(١)</sup>

وللإمام ابن القيم أيضاً كتاب «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء»<sup>(٢)</sup> أفتى به رحمه الله بحُرْمَةِ الغناء وجمع فيه فتاوى سبعة من كبار علماء الإسلام في القرن الثامن الهجري.

منهم الإمام الشُّبْكِي، تقي الدين الشافعي<sup>(٣)</sup> (ت ٧٥٦هـ).

والإمام عماد الدين ابن كثير، أبو الفداء<sup>(٤)</sup> (ت ٧٤٧هـ).

والشيخ جلال الدين بن قاضي القضاة حسام الدين الحنفي<sup>(٥)</sup> (ت ٧٤٥هـ).

والقاضي برهان الدين بن عبد الحق الحنفي<sup>(٦)</sup> (ت ٧٤٤هـ).

(١) ابن القيم «الإغاثة» (١/٢٢٥)، و«مدارج السالكين» (١/٤٨٤)، و«كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء» الصفحة (٨٥).

(٢) وقد صدر بتحقيق ربيع أحمد خلف في القاهرة عن مكتبة السنة في طبعته الأولى عام ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

(٣) هو علي بن عبد الكافي، أبو الحسن الشُّبْكِي، وُلِدَ سنة (٦٨٣هـ) وكان شيخ الإسلام في عصره وأحد الحفاظ المفسرين الناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب «الطبقات»، وُلِدَ في (سبك) من أعمال المنوفية بمصر، وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام، وولي قضاء الشام سنة (٧٣٩هـ). من كتبه «الدر النظيم» في التفسير، و«المسائل الحلية وأجوبتها» و«مجموعة فتاوى» وانظر ترجمته في «طبقات الشافعية» (١٤٦/٦ - ٢٢٦)، و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني (٣/٦٣)، و«شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي (٦/١٨٠)، و«الأعلام» لخير الدين الزركلي (٤/٣٠٢).

(٤) هو الحافظ إسماعيل بن عمر بن ضوء بن كثير البصري الدمشقي، وُلِدَ سنة (٧٠٠هـ) ودخل دمشق وله (٧) سنوات، وحفظ المتون والمختصرات، وصحب شيخ الإسلام ابن تيمية، وألَّفَ في صغره «أحكام التنبيه» وكان قليل النسيان، وامتدحه جماعة منهم الحنَّيني والعراقي وغيرهما. ولزم الحافظ المزني وتزوَّج ابنته. كان من أحفظ الناس لِمُتُونِ الأحاديث. من أشهر تصانيفه «تفسير القرآن العظيم» و«البداية والنهاية» في التاريخ. وانظر ترجمته في «الدرر الكامنة» للحافظ ابن حجر (١/٣٧٣)، و«ذيل طبقات الحفاظ» للحنيني الصفحة (٥٧)، و«الأعلام» لخير الدين الزركلي (١/٣٢٠).

(٥) هو أحمد بن الحسن بن أحمد، أبو المفاجر، الرازي الأصل ثم الرومي الحنفي. وُلِدَ سنة (٦٥١هـ) ببلدة أنكورية من بلاد الروم، وقرأ القرآن واشتغل بالنحو والتفسير والفقه والحديث. وولي القضاء وعمره سبع عشرة سنة، ودرَّس بالشام. وكان إذا مرض يقول: أخبرني رسول الله ﷺ - من طريق الرؤيا الصالحة - أنني أُعَمَّرَ فكان ذلك، فإنه أكمل التسعين وزاد، وحدث قليلاً، وكان يحفظ في كل يوم من أيام الدروس ثلاثمائة سطر، كان كثير المروءة حسن المعاشرة، سخِّي النفس، أقام فوق السبعين سنة يُدرِّس بدمشق الحبية، وغالب رؤساء مذهبه من الحكام والمدرسين كانوا طلبة عنده، وقَلَّ منهم من أفتى ودرس بغير خطه.

انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/١١٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/٢١٤).

(٦) هو إبراهيم بن علي بن محمد، الحنفي، المشهور بابن عبد الحق، لأنه كان ابن بنت ضياء الدين عبد الحق بن خلف الحنبلي، تَفَقَّهَ على أبيه، وتعلَّم العربية والأصول، وأخذ العلوم على شيوخ مصر والشام، وأذن له في إقراء الأصول، وفي الفتيا، وعمره ثمانية وعشرون عاماً. ابن حجر العسقلاني «الدرر الكامنة» (١/٤٧).

والشيخ شرف الدين، أحمد بن الحسن الحنبلي<sup>(١)</sup> (ت ٧٧١هـ).  
والشيخ أبو عمر بن الوليد المالكي وأخوه الشيخ عبد الله<sup>(٢)</sup>.

وكانت صورة السؤال كما نوجزه:

ما تقول السادة العلماء أحسن الله توفيقهم في السماع:

١ - الذي يشتمل على الدَّفِّ والشبابة وآلات اللهو والطرب.

٢ - والتصفيق بالكفِّ ونحوه من اللهو كالتغيير<sup>(٣)</sup> ونحوه.

٣ - ويحضره الرجال والنساء، فربما اختلط بعضهم ببعض، فربما جلس النساء مُقابل الرجال فينظرون إليهم.

٤ - وهم يرقصون على صوت الشبابات والدفوف والغناء.

ومنهم قومٌ يقولون: إن هذا السماع قُرْبَةٌ يتقَرَّبُ بها، وأنَّ مَنْ رَقَصَ غَفِرَ لَهُ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْقُسُورِ لا من أهل اللبِّ، وأن الإمام الشافعي رحمه الله قد قال بإباحة هذا السماع، أو هو ذَنْبٌ صغير يمحوه الاستغفار مع الإصرار عليه.

ومنهم من يحتج بحديث الحَبَشَةِ الْمُتَّفَقِ عليه أو حديث بناتِ النجار الذي أخرجه ابن ماجه.

أقول: فتأمل يرحمك الله كيف جمع هذا السماع آلات اللهو والطرب والتصفيق مع الاختلاط والنظر والرقص فَخَالَفَ أحكام الإسلام بالجهل بأحكام الشريعة كأن يكون الرقص دافعاً للاستغفار؟ وبوجود النساء والنظر إليهن؟!...

وهو ما لا يُقِرُّه إلا إباضي خليع.

قال الإمام السُّبُكِيُّ:

«من قال إنه مُباح، فحيث لم يجتمع فيه دفٌّ ولا شبابة، ولا رجال ونساء، ولا كلام فحش، ولا تغزل حرام، فصحيح، هو مُباح من جنسِ المُباحات كلها». انتهى كلام السبكي.

(١) هو أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الحنبلي، شَرَفَ الدين ابن شرف الدين ابن قاضي الجبل، أبو عبد الله. وُلِدَ سنة (٦٩٢هـ)، خرج له ابن سعد «مُشَيخَةً» عن ثمانية عشر شيخاً حَدَّثَ بها، واشتغل بالعلم فبرع في الفنون وكان بارِعاً في العلوم، بعيد الصيت، قديم الذكر، أفتى في شبيته، يُقال إن ابن تيمية أجازته بالإفتاء. ومن تصانيفه: «القصْدُ المفيد في حكم التوكيد» انظر «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/١٢٠).

(٢) لم نعثر على ترجمة لهما.

(٣) التعبير على ما قاله الأزهري تسمية لما يُطْرَبون به من الشُّعْرِ في ذكرِ الله، كأنهم إذا تناشَدوا بالألحان طربوا، فَرَقَّصُوا، وَأَزْهَجُوا، فَسُمُّوا مُعَبَّرَةً لهذا المعنى.

قال الأزهري أيضاً: وروينا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: أرى الزنادقة وَضَعُوا هذا التعبير ليصدوا عن ذكر الله وقراءة القرآن. وقال الزجاج: سُمُّوا مُعَبَّرِينَ لتزهدهم الناس في الفانية وهي الدنيا، وترغيبهم في الآخرة الباقية. انظر «لسان العرب» لابن منظور (٥/٥) مادة (غ ب ر).

وابعاً : ابن حجر الهيتمي ، أحمد بن محمد الشافعي (ت ٩٧٤هـ) :

لابن حجر الهيتمي رسالة في السماع سمّاها «كَفُّ الرُّعَاعِ عن مُحَرَّمَاتِ اللّهُو والسماع»<sup>(١)</sup> تحدّث فيها المؤلف عن حرمة الغناء والموسيقى، والمسابقة واللعب بالحمام وغيرها من اللّهُو المعروف .

«أما سبب تأليفه لهذه الرسالة، فذكره ابن حجر نفسه في صدر رسالته أثناء وجوده في مكة بلد الله الحرام عند بعض الأصدقاء، إذ وقع سؤالٌ وُجّه له متعلق بأحكام السماع فأغلظ في الجواب .

ف قيل له عن كتابِ أَلْفُهُ محمد الشاذلي التونسي المالكي (ت بعد ٨٥٠هـ)، أبو المواهب صاحب رسالة «فَرْحُ الأَسْمَاعِ برخص السماع»<sup>(٢)</sup> ذهب فيها إلى حلّ الغناء المشروط، فلمّا قرأها ابن حجر رحمه الله قام بتأليف «كَفُّ الرُّعَاعِ» ناهجاً منهج التّقْدِ، إذ ذكر ما جاء في «فرح الأسماع» فقرة فقرة، وقام بالردّ على كل فقرة على حِدّة، ذاكراً آراء العلماء، معتمداً على أقوال أهل العلم من الشافعية .

كل ذلك بأسلوبٍ هُجوميٍّ على مخالفيه في الرأي، ورميه لهم بالكذب، والخُبثِ والتّفاق وغير ذلك من الأوصاف التي وجدناها في ثنايا رسالته .

ومع أن الإمام الشاذلي نقل - مُقلّداً - حجج كمال الدين، جعفر بن ثعلب الأدفوي (ت ٧٤٩هـ) صاحب رسالة «الإمتاع في أحكام السماع» وهو شافعي أيضاً، إلا أن ابن حجر استعمل أسلوبَ الهجوم على الشاذلي، وابن حَزْم (ت ٤٥٦هـ) وابن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ) بينما تحدّث عن الأدفويّ بشيءٍ من الحوار الهادئ المشفوع أحياناً بنوع من الاحترام، ويظهر أنّ التّعصّب المذهبيّ في ذاك العصر كان قائماً على أشده، فالأدفويّ شافعيٌّ كالهيتيمي، والآخرون يُخالّفونه في المذهب»<sup>(٣)</sup> .

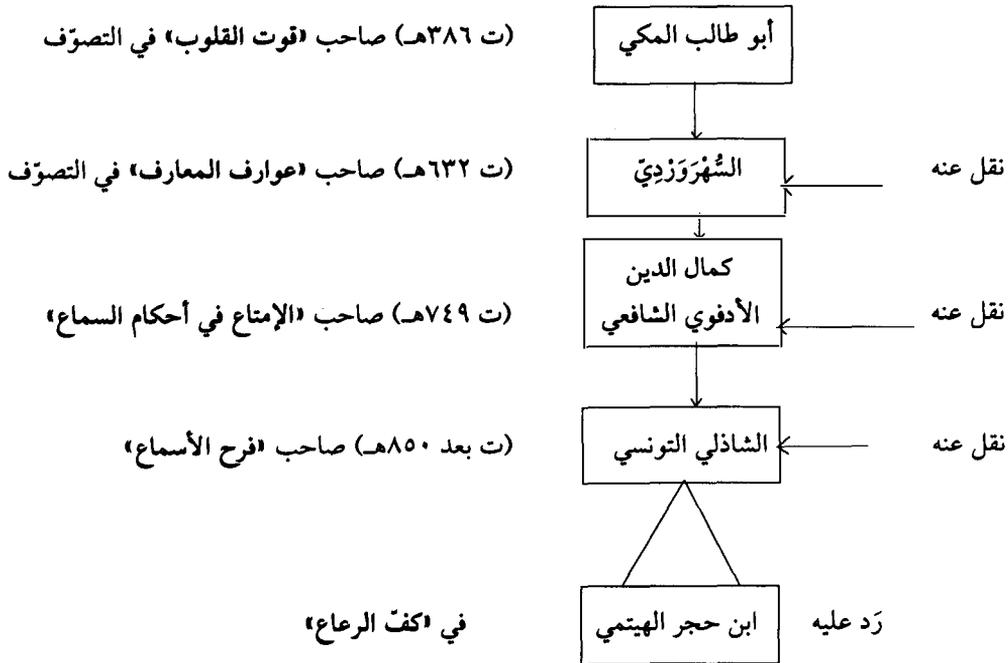
(١) طبعت بالقاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي في مجلّد واحد وبآخرها كتاب «الإعلام بقواطع الإسلام» وقامت بتصويرها دار المعرفة - بيروت بطبعتها الثالثة دون تاريخ، وقام بتحقيقها مؤخراً محمد عبد القادر عطا فصّدت عن دار الكتب العلمية - بيروت في مجلّد واحد عام ١٩٨٦م، ثم قام بتحقيقها عبد المنعم أبو عباس وصدرت عن مكتبة القرآن في القاهرة - بولاق رقم الإيداع بدار الكتب (٨٩/٧٧٧٠) .

(٢) وقد أصدرته الدار العربية للكتاب بتحقيق الدكتور محمد الشريف الرحموني، كذا ذكر عبد المنعم أبو العباس في «كف الرعاع» الصفحة (١٨) . وقال عنه الأسنوي في «طبقات الشافعية» (٨٦/١) ترجمة (١٥٢) : كتاب نفيس أبان فيه إطلاع كبير .

(٣) ابن حجر الهيتمي «كف الرعاع» المقدمة بقلم عبد المنعم أبو العباس الصفحة (١٥ - ١٦) . وقد حكم الإمام النووي برّد شهادة المفتي، وردّ فتواه إن أفتى بدافع العصب والمناجزة - كما فعل ابن حجر الهيتمي رحمه الله رداً على رسالة الأدفوي . قال الإمام النووي في رسالته : «آداب الفتوى والمفتي والمستفتي» الصفحة (٢٠) بعناية بسام عبد الوهاب الجاببي : «إن المفتي إذا نابذ في فتواه شخصياً معيناً، صار خصماً حكماً مُعانداً، فترّد فتواه على من عاداه كما ترّد شهادته» . انتهى كلام النووي .

ويتلخص مما ذكر أن رسالة ابن حجر لم تكن إلا رداً على رسالة شافعي مثله هو الأذقوي صاحب «الإمتاع» لكن حقيقة رسالة الأذقوي - وكما يراها الإمام الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في كتابه «إتحاف السادة المتقين شرح أسرار إحياء علوم الدين»<sup>(١)</sup> - هي نقله أدلة المجيزين للسمع من كتاب «عوارف المعارف» للشهزودي، عمر بن محمد (ت ٦٣٢) الذي نقل بدوره - مُقلداً - أدلتها عن أبي طالب المكي (ت ٣٨٦هـ) صاحب كتاب «قوت القلوب» وهاكم صورة النقل:

### صورة نقل المجيزين للغناء



لكن إضافة إلى الأسلوب الهجومي العنيف على من خالفه، يري الإمام النابلسي الحنفي (ت ١٧٣١هـ) في رسالته «إيضاح الدلالات في سماع الآلات» أن أسلوب ابن حجر الهيتمي غمزه الاضطراب ولم يكن قائماً إلا على التعصب دون تحقيق، حيث يستقرئ الإمام النابلسي

(١) الزبيدي «إتحاف السادة المتقين» (٤٦٦/٦).

بما لديه من علوم، عَدَمَ إِنْصَافِهِ - أي ابن حجر - في أحكامه المبيّنة على التعصب الذي لا مُبَرَّرَ له سوى إِفْحَامِ الحَظْمِ ويقول: «لابن حجر الهيتمي مَوْفِقٌ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مع ابن حزم وابن طاهر»<sup>(١)</sup>.

وَيَسَبِّبُ العُلُوَّ والتشديد في الحرمة وقع ابن حجر نفسه في التناقض في أحكامه «فبينما ذكر في مقدمة رسالته أحاديث فيها صريح الحرمة في الدَّفِّ والطبل مطلقاً، ليظهر نقول الحرمة المطلقة، تراه يصرح بعد ذلك بإباحة الدف مطلقاً في الأصح ولو كان فيه جلاجل»<sup>(٢)</sup>.

والعجب منه أيضاً، فإنه بعد أن أطلق الحرمة في سماع الآلات في رسالته المذكورة، قال بعد ذلك في سياق سماع الغناء والمزامير والمعازف وسائر الملاهي<sup>(٣)</sup>: «ولسنا نُحَرِّمُ مُطَلَّقَ السَّمَاعِ، ولا نعتقد أن ما يُفَعَّلُ من ذلك كله سفاسف وضياح، بل منهم العارفون وهم حِزْبُ اللَّهِ ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِمُونَ﴾»<sup>(٤)</sup>. انتهى كلام ابن حجر<sup>(٥)</sup>.

«فهو - أي ابن حجر - يعتقد التفصيل، غير أنه خشي منه دعوى الجاهلين ما ليس لهم، فأطلق الحرمة رُذْعاً وَرَجْرَافاً، والأولى في حَقِّهِ التفصيل الذي يعتقده، لأن الحلال والحرام أمانة الله تعالى عند العلماء كما قال تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِينَ الَّذِينَ أُوتِينَ أَمْنَتَهُمْ لِيَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّهُمْ﴾»<sup>(٦)</sup>، فالإطلاق في موضع التفصيل خطأ<sup>(٧)</sup>.

هذا وتعتبر «كف الرعاع» من أشد الرسائل في السماع حُرْمَةً، صَدَّرَهَا مؤلفها بمقدمة هاجم فيها من اتَّخَذُوا (مزامير الشيطان) شفاءً للخليل، فهو يردّ - بزعمه - على المبطلين الذين ضَلُّوا سواء السبيل وكان بينهم جَمْعٌ يُضْعِفُونَ إلى مَنْ لا يعتدّ بهم في تحليل ولا تحريم، بل يخشى عليه الدخول في ورطة المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾»<sup>(٨)</sup>.

وقد قَسَمَ الحافظ رسالته إلى مقدمة وباين وخاتمة.

يَبِّينُ في الباب الأول أقسام الغناء المحرم كسماع الغناء المقترن بقرص أو نحو دف أو مزار أو وتر، وقراءة القرآن بالألحان، والدف والكوبة وسائر الطبول، والضرب بالصفافيتين، والضرب بالقضيب على الوسائد، والتصفيق بطن أحد الكفّين على الآخر، والضرب بالأقلام

(١) عبد الغني النابلسي «إيضاح الدلالات في سماع الآلات» الصفحة (٧٨).

(٢) «المصدر نفسه» الصفحة (٤٢).

(٣) «المصدر نفسه» الصفحة (٤٣).

(٤) سورة المائدة، الآية: (٥٦).

(٥) ابن حجر الهيتمي «كف الرعاع» الصفحة (٩٠) وانظر النابلسي «إيضاح الدلالات» الصفحة (٤٣).

(٦) سورة البقرة، الآية: (٢٨٣).

(٧) النابلسي «إيضاح الدلالات» الصفحة (٤٤).

(٨) سورة النحل، الآية: (١١٦).

على الصيني أو بإحدى قطعيتين منه على الأخرى، والشبابة والزمارة والقَصَب الموصول (يضرب به على الأوتار) والمزمار العراقي.

بينما عرض في الباب الثاني أقسام اللهو المحرم كاللعب بالنرد، والشطرنج، واللعب بالحزة والقرق، واللعب بالجوز والخاتم والحمام وغيره.

خامساً رأي القاضي الشوكاني محمد بن علي<sup>(١)</sup> الزيدي (ت ١٢٥٠هـ):

لم يعتبر القاضي الشوكاني - رحمه الله - الغناء حراماً، لكنه لم يخرج من دائرة الشبهات التي يجب الوقوف عندها. وللشوكاني رسالة اشتملت على أقوال أهل العلم في مسألة السماع، وعلى ما استدلل به محلوه ومحرموه، فقد حرّر - رحمه الله - حُجج الفريقين وحقّق في هذه المسألة بما لا يحتاج بعده إلى كتاب آخر، وله رسالة أخرى سماها «إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع» ذكرها في نهاية كتابه «نبيل الأوطار» باب ما جاء في آلة اللهو، قال:

«وإذا تقرّر جميع ما حرّرناه من حجج الفريقين، فلا يخفى على الناظر أن محلّ النزاع إذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج من دائرة الاشتباه».

والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرّح به الحديث الصحيح «ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه»<sup>(٢)</sup> لا سيما إذا كان مشتتلاً على ذكر القدود والخدود، والجمال والدلال، والهجر والوصال، ومعاقرة العقار وخلع العذار والوقار، فإن سماع ما كان كذلك، لا يخلو عن بليّة وإن كان من التصلب في ذات الله على حدّ يقصر عنه الوصف.

وكم من قتيلٍ دمه مطلول، وأسير بهوم غرامه وهيامه مكبول.

زاد في آخر «رسالته» «إبطال دعوى الإجماع»:

«فليحذر المتحفظ لدينه، الراغب في إسلامه عن ذلك، فإن للشيطان حبال، ينصب لكل إنسان منها ما يليق به، وربما كان الغناء على الصفة التي وصفناها من أعظم خدائع اللعين الخبيث، ولا سيما لمن كان في الأزمان السيئة، فإن نفسه تميل إلى المستلذات الدنيوية بالطبع.

وأيضاً السماع من أعظم الأسباب الجالبة للفقر، المذهبة للأموال، وقد قال بعض

(١) الشوكاني «إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع» ذكرها في نهاية كتابه «نبيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار» باب ما جاء في آلة اللهو ٨/ ١٠٩ - ١٢٠، وقد ذكر هذا الكلام عبد المنعم أبو العباس في مقدمة تحقيق كتابه «كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع» لابن حجر الهيتمي صفحة (١١).

(٢) مُنْفَقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري في «الصحيح» (١٢٦/١)، (٢) - كتاب الإيمان، (٣٩) - باب فضل من استبرأ لدينه الحديث رقم (٥٢) وطرفه: «الحلال بيّن والحرام بيّن...» الحديث. ورواه مسلم في «الصحيح» (١٢١٩/٣)

(١٢) - كتاب المساقاة، (٢٠) - باب أخذ الحلال وترك الشبهات الحديث رقم ١٠٧ - (١٥٩٩).

الحكماء: إن السماع من أسباب الموت، فقليل: وكيف ذلك؟ فقال: كان الرجل يسمع، فيطرب، فينطق، فيسرف، فيفتقر، فيغتم، فيعتل، فيموت<sup>(١)</sup>». هـ.

## ٧ - الغناء والشعر:

### أولاً: الشعر أصله الغناء:

عرّف اللغويون الغناء فقالوا: «الغناء ككساء، من الصوت: ما طرّب به.

وغنّاه الشُّعْر، وغنّاه به تَغْنِيَةً: تَغَنَّى به»<sup>(١)</sup>.

يقول أحمد حسن الزيات في كتابه «تاريخ الأدب العربي»:

الشُّعْرُ كما هو معروف في كُتُبِ اللغة، كلامٌ موزونٌ (أي له أوزان عرُوضِيَّة) مُقَفَى (أي له قافية ينتهي بها) يُعَبَّرُ عن الأَخِيْلَةِ البديعة، والصُّوْرِ المؤثِّرة البليغة.

وهو من أقدم الآثار الأدبيَّة عَهْداً، لعلاقته بالشعور وصلته بالطَّبْع، وعدم احتياجه إلى رقي العَقْل، أو تعمق في العِلْم، أو تقدُّم في المدينيَّة.

والمَظَنُّون أن العرب خَطَّوْا من المُرْسَلِ إلى السَّجْعِ، ومن السَّجْعِ إلى الرَّجْزِ، ثم تَدَرَّجوا مِنَ الرَّجْزِ إلى القصيد.

فالسجع هو الطور الأول من أطوال الشُّعْرِ، تَوَخَّاه الكُهَّانُ مناجاةً للآلهة، وتقبيداً للحكمة، وتعميَّةً للجواب وفتنةً للسامع، وكُهَّانُ العَرَبِ ككهان الإغريق هم الشعراء الأوَّلون، زعدوا أنهم مهبط الإلهام، وأنبياء الآلهة، فكانوا يسترحمونها بالأناشيد، ويطلبونها بالأدعية، ويُخَيِّرُونَ الناس بأسرار الغيب في حمل مقفاه موقعة أطلقوا عليها اسم السَّجْعِ تشبيهاً لها بِسَجْعِ الحَمَامَةِ لما فيها من تلك النعمة الواحدة البسيطة.

فلما ارتقى فيهم ذوق الغناء، وانتقل الشعر من المعابد إلى الصحراء، ومن الدُّعاء إلى الحُداء، اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز.

ثم تعددت الأوزان بتعدد الألحان، فكان للحماسة وَزْنٌ، وللغزلِ وَزْنٌ، وللهجج وزن، وهكذا إلى سائر الأوزان التي حَصَرها الخليل بن أحمد الفراهيدي<sup>(٢)</sup> في خمسة عشر وزناً

(١) الفيروزآبادي «القاموس المحيط» الصفحة (١٧٠١)، وابن منظور «لسان العرب» (١٣٩/١٥).

(٢) الإمام، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، أبو عبد الرحمن البصري. كان رأساً في لسان العرب، دنيماً، ورعاً، قانعاً متواضعاً، يُقال: إنه دعا الله أن يرزقه علماً لا يُسَبِّحُ إليه، ففُتِّحَ له بالعروض، وله كتاب «العين» في اللغة، و«الإيقاع» وكان مُفَرِّطَ الذكاء رحمه الله. مات سنة بضع وستين ومائة. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤٢٩/٧) ترجمة (١٦١)، و«معجم الأدباء» لياقوت (٧٢/١١ - ٧٧)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (١/٥٥٧ - ٥٦٠).

سماها بحوراً. فأنت ترى أن الشَّعْرَ مصدره الغناء، وفي أخذهم السجع من هَدِيل الحمامة، والرجز من إيقاع مَشِي الناقة، ولفظ الشُّعْرِ من (شير) العبرية بمعنى الترتيلة أو التسيحة، وقولهم إلى الآن: أنشد الشُّعْرَ بمعنى ألقاه، ما يؤيد ذلك<sup>(١)</sup> انتهى كلام الزيات.

### أقسام الشعر:

ينقسم الشعر إلى قِسْمَيْن: الشعر المباح والشعر المُحَرَّم<sup>(٢)</sup>.

#### أ- الشعر المباح:

● تعريفه: وهو ما خلا عن فُحْشٍ ومُنْكَرٍ وبَدَآءَةٍ وَخَنَا، ولم يُحَرِّكْ الشهوات والغرائز عند الجِسْنَيْنِ أي:

- لم يكن من رَجُلٍ في حقِّ امرأة<sup>(٣)</sup>

- ولا مِنْ امرأةٍ في حقِّ رجلٍ

- ولا مِنْ أَمْرَدَةٍ في حقِّ الصَّنْفَيْنِ.

(١) أحمد حسن الزيات «تاريخ الأدب العربي» الصفحة (٢٥ - ٢٦).

(٢) انظر في ذلك «المعني» لابن قدامة الحنبلي (١٧٧/٩ - ١٧٨) مسألة: والعدل من لم تظهر منه ريبة.

(٣) وقد نقل الكمال ابن الهمام في كتابه «شرح فتح القدير» (٤٨٢/٦) إباحة الشعر في وصف امرأة مُرْسَلَةٍ وكذلك فعل ابن عابدين في «الحاشية» (٣٢/١) وقد فعله الصحابة الكريم وسمعه النبي ﷺ. يقول الكمال ابن الهمام مُبَيِّنًا أنواع الشعر المُحَرَّم:

«والتغني المُحَرَّم هو ما كان في اللفظ ما لا يحلُّ:

- كصفة الذَّكَرِ.

- والمرأة المُعَيَّنَةُ.

- ووصف الخمر المهيج لها، والدويرات، والحانات.

- والهجاء لمسلم أو ذمِّي إذا أراد المتكلم هجاءه، لا إذا أراد إنشاد الشعر للاستشهاد به أو لتعلم فصاحته وبلاغته.

ويدل على أنَّ وَصَفَ المرأة كذلك غير مانع ما سلف في كتاب الحج، من إنشاد أبي هريرة رضي الله عنه وهو مُخْرِمٌ:

قامت تُرَيْكُ رَهْبَةً أَنْ تَضْمَا ساقاً بخنداء وكعباً أدرما

لأن المرأة فيه ليست معينة. وهذا الحديث أورده ابن حجر في «لسان الميزان» (٢٦٤/٢) وقال: «قال ابن شبة هذا الشعر للعجاج وعده في التابعين». وليس لأبي هريرة. فهو إذا غير صحيح. ولولا أن إنشاد ما فيه وصف امرأة كذلك جائز لم نقله الصحابة الكرام.

ومما يقطع في هذا قول كعب بن زهير بحضرة النبي ﷺ:

وما سعادُ غداة البين إذ رَحَلُوا إلا أغن غضيض الطرف مكحولُ

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسم كأنه منهل بالراح معلولُ

وكثير في شعر حسان من هذا، كقوله وقد سمعه النبي ﷺ في قصيدته وأولها:

تلبت فؤادك في المنام خريدة تَسْقِي الضجيجَ بباردِ بَسَامِ

## ● أقسامه : خمسة :

\* أولاً: كأن يكون في وَضْفٍ ما في هذا الكونِ الذي خَلَقَهُ اللهُ: كقولهم من الشعر المباح:

والأَرْضُ فيها عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِ      تُخْبِرُ عن صَنِيعِ مَلِيكِ مُفْتَدِرِ  
تُسْقَى بماءٍ واحِدَةٍ أشجارها      وَبُقْعَةً واحِدَةً قَرارها  
والشمس والهواء ليس يختلف      وأكلها مختلف لا يأتلف  
لو أنَّ ذا مِنْ عَمَلِ الطَّيِّبِ      وأنه صفة غير صانع  
لم يختلف وكان شيئاً واحِدة      هل يشبه الأولاد إلا الوالدة

\* ثانياً: شعر الحجيج إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج أو العمرة:

ومن تلك الأشعار الجميلة التي يقولها الحجاج وهم يُشَوِّقون أنفسهم إلى لقاء بيت ربهم:

ما الشامُ مَفْصَدُنَا كَلًّا، ولا حَلَبُ      لكن لِمَكَّةَ مَنَّا تَزَحَلُ التُّجُبُ  
أُمُّ القَرَى لَسْتُ أنسى إذ تُقَرِّبُنِي      والدَّمْعُ مِنْ قَرَحِي في حَجَرها حَدْبُ  
مَنْتَ عَلَيَّ بِوَضَلِ كالجبالِ مَضَى      يَهْرُنِي كلما استحضرته الطربُ  
ما العُمُرُ إلا أوقيات ذهبين بها      صفراً وهُنَّ الخالِصُ الذَّهَبُ

ومن أروعها وأصدقها قصيدة الشاعر اليماني عبد الرحيم البرعي<sup>(١)</sup> (ت ٨٠٣هـ) التي نَظَمها بعدما تَعَدَّر عليه الحجّ، فخاطب المسافرين إلى بيت الله الحرام واصفاً اختلاجاته وعواطفه قائلاً:

يا راحِلينَ إلى مِنى بِقيادي      هَمَّجْتُمُ يَوْمَ الرَحيلِ فُوادي  
سِرْتُمُ وسارَ دليكم يا وَحْشَتِي      الشُّوقُ أَفْلَقَنِي وصوت الحادي  
أحْرَمْتُمُ جَفَنِي المنامِ بِبُعْدِكُم      يا ساكنينَ المُنْحَى والوادي  
فإذا وَصَلْتُمُ سالميَنَ قَبَلْغوا      مِنِّي السلامَ إلى النبيِّ الهادي  
مَنْ نالَ مِنْ عِرافاتِ نَظْرَةَ ساعةٍ      نالَ الشُّرُورَ ونالَ كُلَّ مُرادِ  
تالَّهِ ما أحلى المبيتِ على مِنى      في ليلِ عيدِ أبْرِكَ الأعيادِ  
يا ربَّ أنتَ وَصَلْتَهُمْ وَقَطَعْتَنِي      فَبِحَقِّهِمْ يا ربَّ فُلْكَ قيادي  
بالله يا زُوارَ قَبْرِ محمدِ      مَنْ كانَ مِنْكُمْ رائِحاً أو غادي

(١) هو عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني، الشاعر المُتصوِّف، من سكان «النيابتين» في اليمن، أفنى ودَّرس وله «ديوان شعر» مطبوع أكثره في المدائح النبوية، انظر البغدادي «هدية العارفين» (١/٥٥٩)، و«الأعلام» لخير الدين الزركلي (٣/٣٤٣).

فَبَلَّغُوا الْمُخْتَارَ أَلْفَ تَحِيَّةٍ مِنْ عَاشِقٍ مُتَفَتِّتِ الْأَكْبَادِ

\* ثالثاً: أشعار الزهد والفضائل والآداب:

وهي الأشعار المرعّبة في الخير، كقول الإمام الشَّهَيْلي، عبد الرحمن بن عبد الله<sup>(١)</sup> (ت ٥٨١هـ).

يا مَنْ يَرَى فِي الصَّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمُعِدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ  
يا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْرَعُ  
يا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمُنُنْ، فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ  
مَالِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالافتقارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ  
مَالِي سِوَى قَرْعِي لِبابِكَ حِيلَةٌ فَإِنْ رُدَّتْ، فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ  
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِأَسْمِهِ إِنْ كَانَ جِوْدُكَ عَنِ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ  
حَاشَ لِفَضْلِكَ أَنْ يُقْنَطَ عَاصِياً الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ<sup>(٢)</sup>

قال ابن فرحون المالكي في «الديباج المذهب»:

«قال ابن دحية: أنشدني وقال: إنه ما سأل الله بها إلا أعطاه إياها، وكذلك من استعمل إنشادها»<sup>(٣)</sup>.

ولذلك قال رَجُلٌ للإمام أحمد رحمه الله:

ما تقول في الغناء؟

فأراد الإمام أحمد أن يَسْتَفْسِرَ مِنَ السَّائِلِ حَقِيقَةَ الْغِنَاءِ، قال: مثل ماذا؟ ماذا تقصد بالغناء؟

فأجاب مثل قول القائل:

إِذَا مَا قَالَ لِي رَبِّي إِذَا مَا اسْتَحْيَيْتَ تَعْصِيَنِي  
وَتُخْفِي الذَّنْبَ عَن خَلْقِي وَبِالْعِضْيَانِ تَأْتِينِي<sup>(٤)</sup>

(١) هو حافظ الأندلس أبو زيد، عالم اللغة والسِّير. كان ضريباً، عمي وعمره (١٧) سنة وتبع، فأنصل خبره بصاحب مراكش، فطلبه إليه وأكرمه، فأقام يُصَنِّفُ كُتُبَهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّى بِهَا. من كتبه «الرَّوْضُ الْأَثْفُ» في شرح السيرة النبوية لابن هشام و«الإيضاح والتبيين لما أيهم من تفسير القرآن المبين». انظر الزركلي خير الدين «الأعلام» (٣/٣١٣).

(٢) ابن فرحون «الديباج المذهب» في معرفة علماء المذهب» (١/٤٨٠ - ٤٨١)، و«أناشيد الصفا في مديح المصطفى ﷺ ومولد البرزنجي» الصفحة (٩٠ - ٩١) وفي هذا الكتاب طائفة طيبة من المدائح النبوية فليُنظَر، وحسن عسيران «أدعية الأنبياء والصدِّقين» الصفحة (١٢٦).

(٣) ابن فرحون «الديباج المذهب» (١/٤٨٠ - ٤٨١).

(٤) أبو الفرج ابن الجوزي «تليس إبليس» الصفحة (٢٧٨) رأي الصوفية في الغناء.

فَقَضَّ الإمامُ أحمد على لِحْيَتِهِ، وَبَدَأَ يُكْرِرُ البيتين حتى سمعتُ نَشِيجَهُ وقال: هذا ليس بغناء أيها الرجل.

ومثل ذلك قصائد مَدَحِ النبي ﷺ كقصيدة «البُرْدَة» للإمام البوصيري، محمد بن سعيد بن حماد<sup>(١)</sup> (ت ٦٩٦هـ) ومَطَّلَعُهَا:

أَمِنْ تَذْكَرِ جِرَانِ بِذِي سَلَمٍ      مَرَجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ  
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ      وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ

وقد روي أنه أنشأها حين أصابه الفالج، فاستشفع بها إلى الله تعالى، ولما نام رأى النبي ﷺ في منامه فَمَسَحَ بيده المُبَارَكَة بَدَنَهُ فَعُوفِي، وخرج من بيته أول النهار. وكان الناس يستشفون بها<sup>(٢)</sup>.

ولابن الوَرْدِي<sup>(٣)</sup> (ت ٧٤٩هـ) قصائد رائعة في الفضائل، ويُقال إنه - أي ابن الورد - مَلَأَ الدُّنْيَا شِعْراً، وله قصيدة في تاريخ الإسلام مكونة من (٥٠,٠٠٠) خمسين ألف بيت، وله سيرة النبي ﷺ شِعْراً، وَلَعَلَّ مِنْ أَشْهَرِ قصائده لاميته المشهورة المسماة «نصيحة الإخوان ومرشدة الأنام» التي تزيد على ثمانين بيتاً ومطلعها:

اغْتَزِلْ ذِكْرَ الأَغْنَانِي والغَزَلِ      وَقُلِ الفَضْلَ وجَانِبَ مَنْ هَزَلِ  
ودع الذِّكْرَ لِأَيَّامِ الصِّبَا      فَلِأَيَّامِ الصِّبَا تَجْمُ أَقْلِ

وفيهما:

وَأَتْرِكِ العَادَةَ لَا تَخْفَلِ بِهَا      تُنَمِسُ فِي عَزٍّ وَتُزْفَعُ وَتُجَلِ  
وَأَلِّهِ عَنِ آلِهِ لَهْوِ أَطْرَبَتْ      وَعَنِ الأَمْرِدِ مُزْتَجِّ الكَفَلِ  
وَأَفْتِكِرْ فِي مُتْهَى حُسْنِ الذي      أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلِ

(١) هو الإمام المصري، شرف الدين، أبو عبد الله، إمام أئمة المديح. نسبت إلى بوصير - من أعمال سويف بمصر - أمه منها وأصله من المغرب، له «ديوان شعر» مطبوع وأشهر شعره قصيدة البُرْدَة وقد شرحها كثيرون وانظر ترجمته في «الوفاي بالوفيات» للصفدي (٣/ ١٠٥ - ١١٣) و«فوات الوفيات» للكتبي (٢/ ٢٠٥). ومن المصادر الأجنبية: BROCKELMAN CARL SI, 467.

وتقع قصيدة البردة في (١٦٢) بيتاً، منها (١٠) في المطلع، و (١٦) في النفس وهوها، و (٣٠) في مدائح الرسول ﷺ و (١٩) في مولده، و (١٠) في دعابه، و (١٠) في مدح القرآن، و (٣) في ذكر معراجهِ، و (٢٢) في جهاده، و (١٢) في الاستغفار، وبقيتها في المناجاة. ومن أشهر شارحيها شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري، وقد طبع هذا الشرح في مجلد واحد في القاهرة بضبط وتعليق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، رقم الإيداع ٩١/١٥٤٩.

(٢) عبد الرحمن حسن محمود «البردة» الصفحة (٣).

(٣) هو الشاعر السوري الكبير عمر بن مظفر بن عمر، أبو حفص، زين الدين. شاعرٌ، أديب، مؤرخ. وُلِدَ في مَعْرَةَ النعمان بسورية عام (٦٩١هـ) وتوفي بحلب. وله «ديوان شعر» مطبوع فيه بعض نظمه ونثره، و «شرح الفية ابن مالك في النحو» و «هجة الحاوي» نظم بها الحاوي الصغير في فقه الشافعية. انظر ترجمته في «فوات الوفيات» للكتبي (٢/ ١١٦)، و «الدرر الكامنة» لابن حجر (٣/ ١٩٥).

وَأَهْجُرِ الْخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى  
وَأَتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهِ مَا  
لَيْسَ مَنْ يَفْطَعُ طُرُقاً بَطْلاً  
لَا تَقُلْ أَضْلِي وَفَضْلِي أَبْداً  
كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ  
جَاوَزَتْ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلَ  
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ الْبَطْلُ  
إِنَّمَا أَضْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ<sup>(١)</sup>

ومثل ذلك قصائد الدعاء والرجاء كقول أحد الصالحين:

طَرَفْتُ بَابَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا  
وَقُلْتُ يَا أَمْلِي فِي كُلِّ نَائِيَةٍ  
وَقَدْ بَسَطْتُ يَدِي بِالذُّلِّ مُفْتَقِراً  
فَلَا تَرُدُّنَهَا يَا رَبَّ خَائِيَةً  
وَيْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ  
يَا مَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضَّرِّ اعْتَمِدُ  
إِلَيْكَ، يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ  
فَبِحُرِّ جُودِكَ يَزْوِي كُلُّ مَنْ يَرِدُ<sup>(٢)</sup>

رابعاً: أشعار العُرس:

وهي الأشعار التي ينشدها أهل العروس إظهاراً للبهجة والسرور والفرح، ليحصل الفرق بين النكاح والسفاح؛ فالنكاح يُفعلُ جهراً، والسفاح يُفعلُ سراً.

وقد أباح النبي ﷺ هذا وأرشدنا إليه، ففي «صحيح البخاري»<sup>(٣)</sup> عن أمنا عائشة قالت: «زَفَقْتُ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا عَائِشَةُ، أَمَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ، فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يَعْجِبُهُمُ اللَّهُ».

وفي رواية الإمام أحمد في «مسنده» و «معجم الطبراني الأوسط» قالت أمنا عائشة:

نقول ماذا يا رسول الله؟ قال:

قولي:

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ  
وَلَوْلَا الْحِنْطَةُ السَّمْرَا  
وَلَوْلَا الذَّهَبُ الْأَحْمَ  
فَعَيَّنَا نُونًا نُحَيِّكُمْ  
مَا سَمِنَتْ عَذَارِيكُمْ  
رُمَا حَلَّتْ بِوَادِيكُمْ

ومثل ذلك ما يُعرَف اليوم «بالزلاغيط» كقولهم في أيامنا:

يَا بَخْر شُورَانَ حَاجِي تَنْتِلِي وَتَزِيدُ

(١) ابن الوردي «نصيحة الإخوان» ضمن كتاب «المجموع الكبير من المتون فيما يُذكر من الفنون» الصفحة (٥٤٠)، الطبعة الثانية، دار الفكر بيروت عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٤م؛ و «أناشيد الصفا في مديح المصطفى ﷺ ومولد البرزنجي» الصفحة (٨٢).

(٢) انظر «أناشيد الصفا» الصفحة (٨٠).

(٣) البخاري «الصحيح» (٢٢٥/٩)؛ وأخرجه ابن ماجه في «السنن» (٦١٢/١ - ٦١٣) الحديث رقم (١٩٠٠) عن ابن عباس باختلاف يسير في اللفظ، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٩١/٣) و (٧٨/٤).

مَرَوْا عَلَيْكَ الْعَرَايِسُ لَابْسِينَ ثِيَابَ الْبَيْضِ  
خَشْخَشَتِ لَكَ بِالذَّهَبِ وَكُلُّ مَالٍ يَزِيدُ  
وَالْعَرِيسَ وَالْعَرُوسَ يَتَهَّؤْنَ بِأَيْلَةَ الْعِيدِ

وفي الحديث الشريف: «فَصَلُّ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الدُّفَّ وَالصَّوْتُ»<sup>(١)</sup>.

على أن يكون هذا بمقدار يسير، لا أن تجلس النساء من أوّل النهار إلى آخره، ثم يُواصلن الليل، فَهَوُ، وإن كان مُباحاً فطوله حرامٌ.

وأما ما يحصل اليوم من إحصار المُجَلَّات، ومُكَبَّرَاتِ الصوت في الأعراس، مع حضور المُغَنِّين والمغنيات، والراقصين والراقصات، فهذا نكاحٌ ملعونٌ من أوّل ليلة، لأن فيه الشُّفُورَ، والاختلاط مع التبجّ والتَّعَرِّيِّ وشُرْبِ الخُمُورِ وهَتِكِ الأَغْرَاضِ.

#### \* خامساً: أشعارُ الجهاد:

وهي الأشعار التي يُقَوِّي بها المسلمون أنفسهم على إلقاء عدوهم لرفع راية التوحيد والإسلام عند الملاحم؛ مثل الأناشيد الحماسية التي تثير الهمم أو ما يُعرَفُ اليوم بالأناشيد الوطنية.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه:

«أن النبي ﷺ دخل مَكَّةَ في عمرة القضاء في العام السابع للهجرة لِيَعْتَمِرَ بعد صَلُحِ الحديبية الذي كان في العام ستة، وعبد الله بن رواحة يمشي بين يدي رسول الله ﷺ ويقول:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ      الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ  
ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ      وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عُمَرُ:

يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ، وفي حَرَمِ الله تقول الشُّعْرُ؟

(١) أخرجه أحمد في «المستد» (٤١٨/٣)، والترمذي في «السنن» (٣/٣٩٨)، والنسائي في «السنن» (٤٣٧/٦)، وابن ماجه في «السنن» (٦١١/١)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٤/٢).

وأما قول هنري جورج فارمر في كتابه «تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر» الصفحة (٧٤) و (٨٦) من أن زواجه ﷺ من خديجة قد أحياى بالغناء وكذلك كان الأمر عند زواج ابنته فاطمة، نقل ذلك عن كتاب «الرحلات» ج ١ (٢) الصفحة (١٣ - ٢٢٦ - ٢٣٣ - ٢٣٤) لأولياء جليبي (ت ١٦٨٠م / ١١٠٠هـ) وهو مرجع تركي متأخر ذكر أن عمرو بن أمية ذميري، وسمى أيضاً باباً عمر أو عَمْرُ عيار وهو صحابي ضرب على الدائرة (الذرة عزر في زواج علي رضي الله عنه، مع عازفٍ آخر هو حمزة بن يثيم (يتيمة)، فلم أقف على هذا الكتاب، وأشك في قول فارمر لإيراده عبارات تدل على جهل مطبق بالشريعة كقوله في بلال بن رباح الحبشي مؤذن الرسول في الصفحة (٨٥) من كتابه «من أنه يُعد الآن شفيحاً لكل من يلبي الدعوة إلى الصلاة...!». وانظر ردّ الدكتور ناصر الدين الأسد على إحدى ادعاءات فارمر الكاذبة في كتابه «القبان والغناء في العصر الجاهلي» الصفحة (٧٤ - ٧٥). وقد سبق ذلك في الصفحة (٥٧) من الرسالة عند نقد المصادر والمراجع.

فقال له النبي ﷺ: «خَلَّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ»<sup>(١)</sup>. وقد أخذ اللواء ابنُ رواحة في غزوة مؤتة بعد مقتل زَيْدِ وَجَعْفَرِ، فَقَاتَلَ، فَأُصِيبَ أَصْبَعُهُ فارتجز قائلاً:

يا نَفْسُ إن لا تَقْتُلِي تموتي      هذه حِيَاضُ الموتِ قد صليتِ  
وما تَمَيَّيتِ فقد لَقِيتِ      إن تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدَيْتِ<sup>(٢)</sup>

ثانياً - الشُّعْرُ الْمُحَرَّمُ:

تعريفه:

وهو عكس الأول أي ما كان في موضوعه بَدَاءَةً، وَفُحْشًا، وَقُبْحًا، وَخَنَا، وَدَعْوَةً إِلَى الفجور والرَّذيلة.

أقسامه:

خمسة وهي:

\* أولاً: أشعار التَّيَاحِ عَلَى الأَمْوَاتِ:

مع التَّخَطُّ عَلَى رَبِّ الأَرْضِ والسَّمَاءِ، وكذا التَّدْبِةِ والدَّعَاءِ بِالْوَيْلِ والشُّبُورِ.

قال ﷺ في حديث أنس: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خِلَالٌ مِنْ خِلَالِ الجَاهِلِيَّةِ: الطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالتَّيَاحَةُ - وَنَسِي الثَّالِثَةُ».

قال سُفْيَانُ: وَيَقُولُونَ إِنَّهَا الاسْتِقَاءُ بِالأَنْوَاءِ»<sup>(٤)</sup>.

وقال ﷺ: «مَنْ نَبِيحَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِمَا نَبِيحَ عَلَيْهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي في «السنن» (١٣٩/٥)، (٤٤) - كتاب الأدب، (٧٠) - باب ما جاء في إنشاد الشعر، الحديث رقم (٢٨٧٤) وقال: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وأخرجه النسائي في «السنن» (٢٢٢/٥)، (٢٤) - كتاب مناسك الحج، (١٠٩) - باب إنشاد الشعر في الحرم والمشى بين يدي الإمام، الحديث رقم (٢٨٧٣).

(٢) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (٥٤١/١٠)، (٧٨) - كتاب الأدب، (٩٠) - باب ما يجوز من الشعر والرَّجَزِ والحُدَاءِ وما يُكْرَهُ مِنْهُ.

ومن أمثال أغاني الجهاد المعاصرة أغنية: الله أكبر فوق كيد المُغْلِي.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحیح» (١٦٣/٣)، (٢٣) - كتاب الجنائز، (٣٥) - باب لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الجُيُوبَ، الحديث رقم (١٢٩٤) و (١٦٦/٣) الحديث رقم (١٢٩٨).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحیح» (١٥٦/٧)، (٦٣) - كتاب مناقب الأنصار، (٢٧) - باب القسامة في الجاهلية الحديث رقم (٣٨٥٠).

(٥) أخرجه البخاري في «الصحیح» (١٦١/٣)، (٢٣) - كتاب الجنائز، (٣٣) - باب ما يكره من النياحة على الميت الحديث رقم (١٢٩١). قال الحافظ ابن حجر، والمراد بالكراهة، كراهة التحريم.

وفي حديث: «الميت يُعَذَّبُ في قبره بما نِيحَ عليه»<sup>(١)</sup>.

\* ثانياً: أشعار السبِّ والهجاء

ما لم تكن بحق شرعيٍّ أو مصلحة.

وقد ثبت عن نبينا ﷺ أنه قال لشاعره حسان بن ثابت الأنصاري يوم قُرَيْظَةَ:

«اهجهم وجبريل معك»<sup>(٢)</sup>.

وفي لَفْظٍ: «اهجُ المُشْرِكِينَ، فَإِنَّ جِبْرِيْلَ مَعَكَ»<sup>(٣)</sup>.

وأما ما ليس بحق شرعيٍّ ومصلحة للإسلام فحرام.

ومثل ذلك الأغنية التي تبثها الإذاعات ووسائل الإعلام وفيها الاعتراض على القضاء والقدر وهو الركن السادس من أركان الإيمان:

قَدَرٌ أَحْمَقُ الْخَطَا .....

\* ثالثاً: أشعار المَدْحِ والفخر:

ما لم تكن بحق ولمصلحة شرعية أي دون مدح الإسلام وأهله.

\* رابعاً: أشعار تشبيه الخالق بالمنلوق:

كقول أحد الشعراء<sup>(٤)</sup> للمذل الذليل المُسَمَّى بالمُعَزِّ لدين الله الفاطمي، الخليفة<sup>(٥)</sup>،

الْمُتَخَلِّفِ، لعنه الله:

مَا شِئْتُ، لَا مَا شَاءَتْ الْأَقْدَارُ      وَاخُكُمُ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح» (١٦١/٣)، (٢٣) - كتاب الجنائز، (٣٣) - بما يكره من النياحة على الميت، الحديث (١٢٩٢).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في «الصحیح» (٣٠٤/٦)، (٥٩) - كتاب بدء الخلق، (٦) - باب ذكر الملائكة، الحديث رقم (٣٢١٣)، ومسلم في «الصحیح» (١٩٣٣/٤)، (٤٤) - كتاب فضائل الصحابة، (٣٤) - باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه الحديث رقم (٢٤٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحیح» (٤١٦/٧)، (٦٤) - كتاب المغازي، (٣٠) - باب مرجع النبي ﷺ مِنَ الْأَحْزَابِ، الحديث رقم (٤١٢٤)، و (٤١٢٣) وانظر الحديث رقم (٦١٥٣).

(٤) وهو الشاعر محمد بن هانئ الأندلسي الذي اتهمه الأئمة بالكُفْرِ.

(٥) هو الخليفة العلوي، المعز لدين الله، أبو تميم، معد بن إسماعيل (المنصور بالله) بن محمد (القائم بأمر الله، أبو القاسم) ابن المهدي (عبيد الله العلوي الحُمَيْني، أبو محمد).

أمه أم ولد. وقد حكم المُعَزُّ (٢٣) سنة وفي عهده بنى قائده مدينة القاهرة، وقد حكم ستان في مصر والباقي بإفريقية، وهو أول الخلفاء العلويين، ملك مصر، وخرَجَ إليها.

وقد مدح الشاعر المعز هذا عام (٣٦١هـ) عند مسيره من إفريقية إلى مصر، والبيت ذكره ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» (٦٢١/٨).

\* خامساً: أشعار الغناء الماجن:

وهو كلامٌ موزونٌ مَقْفَى، موضوعه الفُحْش والبذاء والخنا والزَّذالَة.

وهذا هو الغناء الماجن شكلاً ومضموناً، كلمةٌ وَلَحْنًا وأداءً، ذلك الذي وصفه الحافظ

ابن حجر العسقلاني:

«بأنه تمطيط، وتكسير، وتهيج، وتشويق بما فيه تعريض بالفواحش أو تصريح»<sup>(١)</sup>.

وهذا لا يقول بإباحته إلا زُؤاد الإباحية والانحلال، وهو ينطبق على أغلب الغناء العربي

والعربي اليوم<sup>(٢)</sup> وَكُنْهُ حرامٌ بالإجماع «وهو الذي يُحَرِّكُ الساكنَ، وَيَبْعَثُ الكامنَ، وهذا النوعُ إذا كان في شِعْرٍ فيه وصف محاسن النساء والخمر وغيرهما من الأمور المُحَرَّمَة، لا يُخْتَلَفُ في تحريمه»<sup>(٣)</sup>. وذلك كأغنية «الدنيا كاس وسيجارة».

وكقول الماجنين والماجنات في شوارع وإذاعات بيروت:

بَطَّلْتِ صَوْمٌ وَصَلَّيْ      بَدِّي اعْبُدْ سَمَاكِ  
وَعَلَجَّئْتِ مَنِّي رَايِيحْ      وَعَجَّهْتِمْ رَايِيحْ وَرَاكِ

هذا يُقال في الإذاعات والشوارع . . . ويُقال بعزف والآت وتلحين.

هذا فسقٌ أعداء الله، لكن لا يقتصر العتب عليه فحسب، بل على الذي جعله يُعْرِبِدُ في

أرجاء الدنيا.

ومثل هذا الغناء ما نسمعه على إذاعات الـ F.M كقولهم:

مَا تَقْصِي التَّوْرَةَ كُتَيْبِزْ      وَلَا تَعْلِيهَا بِالْمَرْةِ  
وَلَا تُشَدِّي عَالِخَضِرْ كُتَيْبِزْ      يَتَفَجِّرْ قُبْلَةَ الذَّرَّةِ

هذا ما سمعناه من أطفال لا تتعدى أعمارهم (٨) سنوات من أبناء المسلمين الغافلين

أصلح الله حالهم. هذا هو الغناء، مَنْ سمعه يعلم أنه غناء موضوع فاحش، بذيء، مُنْكَرٌ، قبيح، يَدْعُو للفجور، وَيُحَرِّضُ النساء على الرجال، والرجال على النساء وَيُغْري الناس بما حَرَّمَ اللَّهُ عليهم. وهذا لم يسمعه النبي ﷺ، وكان لا يخطر ببال أحدٍ مِنَ المسلمين أنه سيصل حالنا إلى ما يَنْدَى له الجبين.

إننا في إذاعاتنا نحاربُ ربَّ الأرض والسماء.

(١) الحافظ ابن حجر العسقلاني «فتح الباري» (٢/٤٤٢).

(٢) انظر النماذج المختارة لمثل هكذا غناء في الفصل السادس من الرسالة: الترجيح بين الأدلة، ضوابط الأغنية في الإسلام

(٣) الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (٢/٤٤٢).

## ت - الخلاصة:

وبعد، فهذا هو الشعر بِقِصْمِهِ المُبَاحِ والمُحَرَّمِ.

وقد ثَبَّتَ هذا عن الحبيب المصطفى صلواتُ الله عليه حيث قال:

«الشعر كَلَامٌ فَحَسَنُهُ حَسَنٌ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ»<sup>(١)</sup>.

وقد قال ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً»<sup>(٢)</sup> وفي رواية: «حِكْمًا».

يقول ابن عبد ربه في كتابه «العقد الفريد»<sup>(٣)</sup>:

«وبعد، فهل خلق الله شيئاً أَوْقَعَ بالقلوب، وأشدَّ اختلاصاً للعقول من الصوت الحسن،

لا سيما إذا كان مِنْ وَجْهِ حَسَنٍ كما قال الشاعر:

رُبَّ سَمَاعٍ حَسَنٍ      سَمِعْتَهُ مِنْ حَسَنٍ  
مُقَرَّبٍ مِنْ فَرَحٍ      مُبَعَّدٍ مِنْ حَزَنٍ  
لا فارقانِي أبداً      في صَحَّةٍ مِنْ بَدَنِي

وهل على الأرضِ رِعْدِيْدٌ مِطْطَارِ الفُوَادِ، يُغَنِّي بِقَوْلِ جَرِيرِ بنِ الحِطْفِيِّ:

قُلْ لِلجَبَانِ إِذَا تَأَخَّرَ سَرْجُهُ      هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرِكِ المِئِيَّةِ نَاجِي

إِلَّا ثَابَ إِلَيْهِ رُوحُهُ، وَقَوِيَ قَلْبُهُ؟

أم هل على الأرضِ بَخِيلٌ قَدْ تَفَقَّعَتْ أَطْرَافُهُ لُؤْمًا، ثُمَّ غَنَّى بِقَوْلِ حَاتِمِ الطَّائِي:

يَرَى البَخِيلُ سَبِيلَ المَالِ وَاحِدَةً      إِنَّ الجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا

إِلَّا انبَسَطَتْ أَنَامِلُهُ، وَرَشَحَتْ أَطْرَافُهُ؟

أم هل على الأرضِ غَرِيبٌ نَازِحِ الدَّارِ، بَعِيدِ المَحَلِّ يُغَنِّي بِشِعْرِ عَلِيِّ بنِ الجَهْمِ:

(١) نسبة الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٢٧٣/٢) للإمام الشافعي. انظر «مختصر المزني» الصفحة (٣١١) مختصر من كتاب الشهادات وقد اشتهر عنه كما قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٥٣٩/١٠) وذكره ابن رشيح القيرواني في «العمدة في محاسن الشعر» الصفحة (٨٥/١). وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» كما في «فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد» للجيلاني (٣٢٤/٢)، الحديث رقم (٨٦٥)، وعن أمنا عائشة الحديث رقم (٨٦٦)، كما أخرجه الدارقطني في «السنن» (١٥٦/٤) الحديث رقم (٤).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٣٧/١٠) الحديث رقم (٦١٤٥)، وابن ماجه في «السنن» (١٢٣٥/٢) الحديث رقم (٣٧٥٥)، وأحمد في «المسند» (٢٦٩/١)، ٢٧٣، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٣٢ و (١٢٥/٥)، والترمذي في «السنن» (١٣٧/٥) الحديث رقم (٢٨٤٤)، والدارمي في «السنن» (٢٩٧/٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤٤٣/٣) و (٢٥٤/٤) و (١٨/٨) و (٣٤٩/١٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٦٩/٧)، ورواه الطبراني بسند حسن عن عبد الله بن عمرو في «المعجم الأوسط» كما رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٢/٩)، الحديث رقم ١٣٨ - (٥١٠٤)، وانظر الحديث رقم (١٠٤٧) و (٢٣٣٢) و (٢٥٨١).

(٣) ابن عبد ربه «العقد الفريد» (٥ - ٤/٧) من كتاب الياقوتة الثانية في علم الألقاب واختلاف الناس فيه.

يا وَخَشْتَا للغريب في البلد الذ  
سازح ماذا بنفسه صَنَعَا  
فَارَقَ أَحْبَابَهُ فما أَتَفَعُوا بِالعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ ولا أَتَفَعَا  
يقولُ في نَأْيِهِ وَغُرْبِيَّتِهِ عَدَلٌ مِنَ اللَّهِ كُلُّ ما صَنَعَا

إلا انقطعت كبده حيناً إلى وطنه، وتشوقاً إلى سَكِينِهِ؟.

وليس في إباحة الشُّعْرِ خِلَافٌ، وقد قاله الصحابةُ الكرام والعلماء، والحاجة تَدْعُو إليه لمعرفة اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ والاستشهاد به في التفسير، فيه تعرف معاني كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وبه يُسْتَدَلُّ على النَّسَبِ وأَيامِ العَرَبِ.

وقد قال حَبْرُ هذه الأمة ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «الشعر ديوان العرب»<sup>(١)</sup>.

وها هو الإمام ابنُ مالك، محمد بن عبد الله الطائي الجبَّاني (ت ٦٧٢هـ) ينظم أَلْفِيَّتَهُ الشُّعْرِيَّةَ لصيانة لغتنا العربية الجميلة وهي مشهورة، تناولها العلماء بالشرح، وما فَعَلَ ذلك إلا حِفْظاً على اللغة العربية حتى قالوا: كان بإمكان ابن مالك ألا يَتَكَلَّمُ إلا شِعْراً... .

رابعاً: تنزيه الله سبحانه وتعالى كتابه القرآن عن الشعر لأنَّ أغلبه من النوع المذموم المُحَرَّم الذي لا يتناسب وأغراض القرآن:

لكن لَمَّا كان الشُّعْرُ يُسْتَعْمَلُ غالباً في النوع الثاني، أي فيما فيه بذاءة، ونكارة، وقبح، وفُجُور، نَزَّ اللَّهُ القرآن عن الشُّعْرِ فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَلْبِغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

خامساً: ونَزَّ اللَّهُ نبيه عن الشُّعْرِ وذَمَّ الشُّعْرَاءَ إلا مَنْ آمَنَ منهم وَعَمِلَ صالحاً: فقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلاً مَّا تُؤْتَوْنَ، وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلاً مَّا تَدَّكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ومما يدل على حِفْظِ الله تعالى لرسوله من الشعر قوله ﷺ يوم حُتَيْنِ على ما رواه الإمام أحمد في «مسنده»<sup>(٤)</sup>:

أنا النبيُّ لا كَذِبُ أنا ابنُ عبدِ المطلبِ

قالها ﷺ بكسر الذال والصواب فَتَحَهَا. وذلك لأنَّ «أَحْسَنَ الشُّعْرِ أَكْذِبُهُ»<sup>(٥)</sup>. فالشُّعْرُ قائِمٌ على التَّخِيلَاتِ، وأغراض القرآن لا تتناسب مع أغراضِ الشُّعْرِ.

(١) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (٢٤/١) وفيه: قال ابن عباس: إذا سألت مني عن غريب القرآن فالتصوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب. وانظر «المغني» لابن قدامة المقدسي (١٧٧/٩) وابن رشيح القيرواني «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» (٩٠/١)، (٢) - باب في الرد على من يكره الشعر.

(٢) سورة يس، الآية: (٦٩).

(٣) سورة الحاقة، الآيتان: (٤١، ٤٢).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٢٨٠/٤، ٢٨١، ٣٠٤).

(٥) ابن حجر «فتح الباري» (٥٣٨/١٠).



وناموا مع النائمين.

وهذا الحديث زعم ابنُ الجوزي أنه موضوع<sup>(١)</sup>، لكن خلاصة ما ذكره ابنُ أبي حاتم في «العلل»<sup>(٢)</sup> أنّ هذا من كلام عبد الله بن عمرو، أي مَوْقُوفاً عليه، والحديث فيه قُرْعَة بن سُويد، وغاية ما قيل فيه أنه ضعيف.

وأورده الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» في ترجمة عاصم بن مخلد وقال: أورده أحمد في «مسنده» عن يزيد بن هارون، عن قرعة، واجترأ ابن الجوزي وذكره في «الموضوعات»<sup>(٣)</sup>.

وقد اختلف كلام الحافظ ابن حجر في «التقريب»<sup>(٤)</sup> في هذا الرجل، فَحَكَمَ عليه بأنه ضعيف، وَحَكَمَ عليه في «القول المسدد»<sup>(٥)</sup> أن حديثه في درجة الحسن، وأورده الإمام الذهبي في «الكاشف» فقال: مختلف فيه<sup>(٦)</sup>.

ثامناً: لا تُكْتَبُ البِئْمَلَةُ في بداية دواوين الشعر المذموم:

بعد أن اتَّفَقُوا على أَنَّ البِئْمَلَةَ تُكْتَبُ في بداية كل كتاب، نَصَّ أئِمَّتُنَا على ألا يُكْتَبَ في بداية دواوين الشعر بسم الله الرحمن الرحيم.

وذلك لما في الشعر من مُبالغات، ومُجازفات، وكذب، وتخزُّصات.

يقول القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»:

«اتَّفَقَتْ الأئِمَّةُ على جواز كَتَبِهَا في أول كل كتاب من كُتُبِ العلم والرسائل، فإن كان الكتاب ديوان شعر، فَرَوَى مُجالد عن الشَّعْبِيِّ قال: أَجْمَعُوا ألا يكتبوا أمام الشعر «بسم الله الرحمن الرحيم». وقال الإمام الرُّهْرِيُّ: مَضَتْ السُّنَّةُ ألا يكتبوا في الشعر «بسم الله الرحمن الرحيم».

وذهب إلى رسم التسمية في أول كتب الشُّعْرِ سعيد بن جُبَيْرٍ، وتابعه على ذلك أكثر المتأخرين.

قال أبو بكر الخطيب: وهو الذي نختاره ونستحبه<sup>(٧)</sup> انتهى كلام الإمام القرطبي.

(١) ابن الجوزي «الموضوعات» (٢٦١/١). وابن الجوزي من المتشددين في الجرح. انظر «الرفع والتكميل» للكنوي الصفحات (٣٠٨ - ٣٣٢). والصواب في درجة الحديث أنه ضعيف.

(٢) ابن أبي حاتم «علل الحديث» (٢٦٣/٢).

(٣) ابن حجر «لسان الميزان» (٢٢١/٣) وانظر (٤٦/٤).

(٤) الحافظ ابن حجر العسقلاني «تقريب التهذيب» (١٢٦/٢) ترجمة (١١٠).

(٥) الحافظ ابن حجر العسقلاني «القول المُسَدَّد في الذبِّ عن مسند أحمد» الصفحة (٧٥).

(٦) الإمام شمس الدين الذهبي «الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة» (١٣٧/٢) ترجمة (٤٥٧٧).

(٧) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (٩٧/١) وانظر ابن رشيقي القيرواني «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» (١٠٨١/٢)، (١٠٣) - باب حكم البِئْمَلَةِ قبل الشعر.

نقول:

وإذا كان الشعر كالكلام فَحَسَنُهُ حَسَنٌ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ، وقد ثَبَّتَ هذا عن النبي ﷺ واشتُهِرَ عن الإمام الشافعي رحمه الله وغيره، فينبغي أن نُعْطِيَ الشُّعْرَ حُكْمَ الكَلَامِ الآخِر: فإذا كان موضوع الشعر مُباحاً فلا مانع من افتتاحه بالبسملة وكتابتها في بدايته، وإذا كان موضوعه مذموماً قبيحاً يَحْرُمُ أن نكتب بسم الله الرحمن الرحيم في بدايته، لأنَّ هذا فيه استهانةٌ باسم الله سبحانه وتعالى .